

الأسد وعائلة الفئران

عندما أشرف الأسد على مرحلة متقدمة من السن ، لم يعد يهتم أن يرى بعض الفئران الصغيرة تتقاذف من حوله ، ويكاد بعضها يلمس زيله وهو يلعب مع زملائه. في الماضي ، كان يمر على كل الجحور المحيطة بعرينه ، وتكفي ضربة خفيفة من يده لكي تختفي منها كل الهوام والحشرات، أما الآن فإنه فقد الرغبة في تطفيش تلك المخلوقات الصغيرة من حوله ، بل إنه راح يتلذذ أحياناً من مشاهدتها عن قرب، وهي التي كانت تختبئ من مجرد سماعها وقع أقدامه ، أو صخب أنفاسه .

في إحدى المرات ، سمع المفارة الأم تتشاجر مع زوجها من قلة الطعام ، وعدم سعيه الجاد في الحصول عليه من أجل الأولاد الذين كثر عددهم، وزادت تكاليف معيشتهم. وعندما نظر الأسد بطرف عينه إلى الزوج وجدده مستكيناً لا يقدر أن يفعل شيئاً ، فقد أنهكه الزمن ، وظهرت الشيخوخة على ملامحه ، ولم تعد عيناه اللامعتان مركزتين ، بل إنه راح يتثائب كلما أمعنت زوجته في عتابه.

تذكر الأسد حاله، ورثى لنفسه لكنه قرر أن يمنح هذه العائلة بعض اللحوم والعظام المتبقية من ولائمته. لكنه عاد فتذكر أنه لم يعد قادراً على الماصطياذ بنفسه، وأنه في الشهور الأخيرة أصبح يفقد ما معدله تسع فرائس من عشر، ولما يكاد يحصل على واحدة لما بعد أن يقع له حادث، فينكسر له ناب، أو ينخلع له ظفر، أو يتحول مفصل من مكانه .. كان يدرك جيداً أنها علامات الشيخوخة التي لاحظها على أبيه من قبل. لكن أباه توفى سريعاً، ولم يتعرض لهذا الموقف الذي أصبح هو فيه الآن. كل زوجاته فارقتة إلى أسد أكثر شباباً، وحتى أبنائه وأحفاده لم يعودوا يتقبلون وجوده في نطاق أرضهم، والأدهى من ذلك أن بعض المضباع قد أدركت حالته فأصبح بعضها يتجراً على التسلسل إلى المفريسة التي يصطادها بنفسه، ويسعى لخطفها من بين أنيابه !

اقتربت الشمس من المغيب، وخرجت الفئران الصغيرة من جحورها تلعب وتتقاذف بجوار الأسد الذي بدا أنه ذائم، وإن كان متيقظاً لما يجري حوله. وأسعده أن يرى تلك العائلة الكبيرة العدد من الفئران بأجيالها المختلفة. كما راح يراقب بصعوبة قفزات الفئران الصغيرة جداً وهي تخطف من بعضها الطعام، أو تدور حول زيول بعضها في حركات دائرية منتظمة. وفجأة سمع أحد الفئران الصغيرة ينادي أمه قائلاً :

— انظري يا أمي .. هذا الأسد يبدو أنه مات. فأنا لا أكاد أسمع صوت أنفاسه. انتبه الأسد فجأة، وزمجر فأثار الرعب في كل أفراد العائلة التي أسرعت بالدخول إلى مخابئها، ثم بدأ رأس الأم يظهر مستطلعاً :

— كيف تقول هذا يا بني .. الأسد صحيح ومعافى، وهو يتركنا نعيش في حمايته. لكن إياكم أن تقلقوه أو يدوس أحدكم على زيله !

أعجب الأسد كثيراً بكلام الأم العاقلة، وصمم على أن يساعدها في إعالة أسرته الكبيرة.

في اليوم التالي صحا الأسد مبكراً على غير عادته، وراح يتجول في الجوار، باحثاً عن حمار وحشى أو جاموسة برية أو حتى غزال .. لم يكن هناك من ذلك أى شئ. وفجأة ظهر خنزير برى صغير، فأسرع بالانقضاض عليه، لكن الخنزير البرى كان أكثر رشاقة فنجأ من المقفزة الضخمة للأسد، واندفع بين الصخور والأحراش كان أكثر رشاقة فنجأ من المقفزة الضخمة للأسد، واندفع بين الصخور والأحراش والأسد المنهك يتابعه، ويصطدم أحياناً ببعض الصخور الناتئة، مما أدمى يديه وقدميه، وراح الدم يتدفق منها، بينما اختفى الخنزير الصغير تماماً.

عاد الأسد إلى عرينه وقطرات الدم تسيل منه على الأرض، ثم استلقى على جنبه، ولمحته المفأرة الأم، فأسرعت بإحضار بعض أوراق الشجر المجافة وراحت تضعها على جروحه، وهو ينظر إليها بامتنان، بينما وقف زوجها يراقب الموقف من بعيد بقدر كبير من الحذر والخوف. وعندما قفز فأر صغير على كتف والده سأله :

— هل هذا الأسد سيعيش يا أبى ؟

أجابه بهدوء :

— أعتقد يا بنى.

— طيب ، وماذا تفعل أمى له ؟

— إنها تساعد على التئام جراحه .

— لماذا يا أبى ؟

— لأنه جارنا يا بنى ومن واجبنا أن نساعد.

فى تلك اللحظة فقط ، أدرك الأسد المعجوز أنه قد انتهى.. لأنه أصبح يعيش بالفعل فى كنف عائلة الفئران، بعد أن كانت كل حيوانات الغابة تعيش فى كنفه
